الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت
ص.ب ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٢

AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

رئيس التحرير والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس

Rédacteur en chef et directeur
SOUHEIL IDRISS

العدد السادس
حزيران (يونيو)
السنة الثامنة

No. 6, Juin 1960
8ème année

الشهداء !

تمثيلية في ثلاثة فصول

بقلم الدكتور سهيل ادريس

الاشخاص

عمر حمد
سعيد عقل
عبد الغني العريسي
} من المناضلين العرب في العهد العثماني

نجيب : حارس سجن عاليه
سلمى : زوجة سعيد عقل

الاهداء : الى شهداء المصير العربي :

الفصل الاول

غرفة في مكاتب جريدة « الاتحاد العثماني» سعيد عقل جالس وراء مكتبه يكتب ، الى اليمين مقعد يجلس عليه عمر حمد وهو يطالع صحيفة .

سعيد (رافعا رأسه عن الاوراق التي امامه) ـ الى متى تظل صامتا هكذا يا عمر ؟ قل اي شيء ! انني لا أطيق بعد هذا الصمت !

عمر (بهدوء) ـ وماذا تريدني ان اقول ؟

سعيد ـ اسأل سؤالا ، اجب جوابا ، علق بأية كلمة !

عمر ـ تكلمنا كثيرا ياسعيد ، حتى اصبحت زاهدا بالكلمة ، الا ترى الان انها سلاح ضعيف؟

سعيد ـ تعرف ياعمر ان قيمة السلاح انما هي في اليد التي تحمله .

عمر ـ لقد تعبت ايدينا ياصديقي .

سعيد ـ المهم الا تتعب منا النفوس .

عمر ـ هذا دأبك ياسعيد : انك تحرم علينا ان نستسلم لليأس .

سعيد ـ انه عدونا الاول . اما السفاح فيأتي بعده . (يصمت لحظة ثم يضحك) لقد ارسل لنا منذ ايام من يحذرنا .. .

عمر ـ يحذركم ؟ ومم ؟

سعيد ـ من ان مانكتبه في الجريدة سيعود علينا بالوبال .

عمر ـ كأنكم لاتعرفون ذلك !

سعيد ـ وهل ، بربك ، نقول غير الحقيقة ؟

عمر ـ انه يريدكم الا تقولوها !

سعيد ـ يريدنا الا نقول ان المجاعة تتفاقم في البلاد ؟

عمر ـ وهل يحسها هو ، هذه المجاعة ؟

سعيد ـ اقسم لك ياعمر اني رأيت اليوم ، وانا قادم الى المكتب ، امرأة مسنة تبحث في الاقذار والنفايات عما تقتات به !

عمر ـ اضف الى هذا المشهد ، مشهد القطة !

سعيد ـ اية قطة ؟

عمر ـ تلك التي رأها جرجي يطاردها ثلاثة صبية . وكانت هزيلة ، فتمكنوا من القبض عليها .

سعيد ـ وهل ... .

عمر ـ اجل ياصديقي .. بعد ان شووها !

سعيد (رافعا يديه الى السماء) ـ ارأف باولادنا يا الهي ! رحماك يارب !

عمر ـ كان جاري بالامس يقتلع النوافذ الخشبية في بيته . وحين سألته « الا تخشون البرد ؟ » ضحك ثم قال بصوت مرتعش : « البرد ... يستطيع الاولاد ان يقاوموه اياما ... اما الجوع ... »

سعيد ـ امس فقط ... سبعة وعشرون اهالكتهم المجاعة !

عمر ـ منذ ولدنا ونحن في مجاعة . ان خبز الباب العالي لن يشبعنا ابدا ياسعيد !

سعيد ـ عجبا ! كدت انطق بفكرة مشابهة . اننا لن نسيغ الخبز قبل ان نستقل.

عمر ـ هذا حق ، ان الجوع هو الذي يفجر احساسنا اليوم بان الظلم قد بلغ ذروته !

سعيد ـ وهل هناك ابعد ظلما من قانون « التنسيق » هذا الذي نشروه اخيرا ؟

عمر ـ قيل انهم تمكنوا بموجبه من اقصاء معظم الموظفين العرب هنا ....

سعيد ـ حتى وزير الاوقاف ، العربي الوحيد في الوزارة ، اقالوه وعينوا تركيا بدلا منه !

عمر (يبسط له الجريدة التي كان يقرأها) ـ اقرأ هنا بالله عليك ! لقد حظر سفيرهم في واشنطن على الجالية العربية مخاطبة السفارة بغير اللغة التركية ...

سعيد (يتناول الجريدة) ـ اذا كان هذا مضحكا ياعزيزي ، فمن المحزن ان بعض الاتحاديين هدموا قبر المرحوم عبد القادر الجزائري واستخرجوا رفاته ، فنثروها في الهواء !

سعيد (كأنه يكمل عنه) ـ لانه مناضل عربي دافع عن وطنه طوال خمس عشرة سنة .. ويخشون ان نتخذه مثالا نحتذيه !

عمر ـ الا ترى ان الارهاب الذي يأخذوننا به ، يزيد قضيتنا مكاسب ؟

سعيد ـ بلى . ان مطامحنا تزداد يوما بعد يوم ...

عمر ـ تصور لو انهم استجابوا لمطالبنا في اللامركزية وجعل لغتنا لغة رسمية ....

سعيد ـ لو فعلوا ذلك ، لما كان فينا من يطلب الان الاستقلال عن السلطنة العثمانية !

عمر ـ ان صحف جمال باشا تصرح علنا بانهم يريدون « تتريكنا » ..

سعيد ـ وهو من أجل هذا ينكل بنا ويشرد عائلاتنا وينفيها الى الاناضول ..

عمر ـ هل تعتقد ياسعيد ان التاريخ قد عرف رجلا اشد نفاقا من جمال باشا ؟

سعيد ـ ولم يعرف كذلك من هو اشد غدرا !

عمر ـ ان سياستهم كلها ،منذ مؤتمر باريس تقوم على النفاق والغدر ..

سعيد (مقاطعا) ـ وعلى محاولة التفرقة فيما بيننا ، مسلمين ومسيحيين .

عمر ـ انك تشير طبعا الى صنيعتهم عبد العزيز الجاويش الذي حرضوه على القيام بدعوة الجامعة الاسلامية لاحباط مساعي المطالبين بالاصلاح !

سعيد ـ اجل ، يا عمر ! ولكن خاب فألهم ! ان العروبة اليوم تجمعنا لحربهم !

(يدق الباب ويدخل عبد الغني العريسي ، فينهضان لتحيته مؤهلين . سعيد يدعوه للجلوس على مقعد الى يسار مكتبه . يجلس عبد الغني والتعب باد عليه)

عمر ـ اراك متعبا ايها العزيز ؟

عبد الغني ـ الاصح ، ياعمر ، اني حزين .

سعيد ـ وهل من جديد ؟

عبد الغني ـ لا . غير اني كنت في زيارة ال المحمصاني .

عمر ـ الم تخف احزانهم قليلا ؟

عبد الغني ـ بل يخيل الي انها تعمق وتزداد . لكأنهم في مناحة دائمة .

سعيد ـ .. بالرغم من ان تسعة اشهر ...

عبد الغني ـ تسعة اشهر ، اجل ، كأنها كانت بالامس . ولكن الاب حدثني مرة اخرى عن محمد ومحمود .

سعيد ـ كيف تعانقا طويلا امام المشنقة ، وكيف اخذ كل منهما يشجع الاخر على الموت ..

عمر (مكملا) ـ وكيف صعدا معا الى منصة الاعدام بقدم ثابتة ووجه بسام ، وكانت عين كل منهما منطبعة في عين اخيه ..

عبد الغني ـ واليوم اجهش باكيا وهو يروي كيف التفت محمد الى منفذ الاعدام وقال له :

« لي منك رجاء واحد قبل موتي : هو ان تنفذ الاعدام بي وباخي في وقت واحد ، حتى لا يتعذب احدنا بمرأى اخيه يموت امامه ! »

(يصمت الجميع لحظة)

عمر ـ يالالاب المسكين !

سعيد ـ كانا بطلين في طليعة موكب الاحرار !

عبد الغني ـ بدأت اخشى على الاب المسكين ان يصاب بالجنون . انه ينهض بين فترة واخرى ويردد العبارة التي نطق بها ابنه محمد قبل ان يرفس الطاولة تحت قدميه : « يشهد الله اني لم اخن وطني دقيقة واحدة ، وان ماقمت به كان عن اعتقاد ثابت بأني اخدم بلادي واني اموت شهيدا . فلتحي امتي وليحي العرب ! » (يصمت لحظة ، بينما يطرق سعيد وعمر برأسيهما) ثم يجلس ويتمتم قائلا « وقد وضعوهما في حفرة واحدة » ثم ينظر الى البعيد ويصمت ، ويطول صمته حتى يخيل اليك انه لن يتكلم بعد ابدا !

عمر ـ احد عشر بطلا ايها الصديقان ! وكل منهم استقبل الموت كما استقبله محمد ومحمود : عبد الكريم الخليل ، صالح حيدر ، مسلم عبدين ، نايف تللو ، عبد القادر خرسا.

سعيد ـ ولا تنس محمود العجم ، وسليم عبد الهادي ، ونور الدين القاضي .. وقبلهم الشيخين فريد وفيليب الخازن .

عبد الغني ـ كانوا الرواد في درب الفداء !

عمر ـ ولن يكون لاي منا بعد مجال للتراجع في هذا الدرب ..

سعيد ـ الا ان يكون خائنا ، او ان يهزأ بهذه القافلة من الشهداء .

عمر (ملتفتا الى عبد الغني) ـ اي جديد من الاخبار ياعبد ؟

عبد الغني ـ ليس عندي جديد .. لقد انقطعت عن قراءة الصحف !

سعيد ـ منذ ان عطلوا لك « المفيد »

(يضحك) كم مضى على تعطيلها الان ؟

عبد الغني ـ زهاء اربعة اشهر ..

سعيد ـ ولكن لاتنس ياعبد ان « الاتحاد » هي ايضا جريدتك !

عبد الغني ـ بورك بك ياسعيد ، انك تحمل رسالتنا جميعا .

(يدق الباب ويدخل جرجي الحداد)

سعيد ـ اهلا جرجي ، (مازحا) حسبتك لطول غيبتك قد مت جوعا !

جرجي ـ افضل ميتة اخرى ياسعيد

(يصمت لحظة) الم تسمعوا بالنبأ ؟

عمر وعبد الغني ـ اي نبأ ؟

جرجي ـ لقد اعتقل السفاح عددا من رفاقنا .

سعيد (بلهفة) ـ ومن هم ؟

جرجي ـ عرفت منهم عبد الحميد الزهراوي وشفيق المؤيد والامير عمر الجزائري ورفيق رزق سلوم وعبد الوهاب الانكليزي ورشدي الشمعة .

(لحظة صمت)

عمر ـ هذا خطير ايها الاعزاء .. ان هذه خطوة ستتبعها خطوات ..

عبد الغني ـ كنا نتوقعها منذ حين ...

سعيد ـ هل نستطيع ان نفعل شيئا ، قبل ان يصدر الديوان العرفي احكامه ؟

عمر ـ ونحن نعرف ماعساها تكون احكامه!

عبد الغني ـ سأبادر الى ارسال رسول الى الامير فيصل ، وهو الان في دمشق يجب أن يتوسط لانقاذهم .

جرجي ـ اقترح ان نتوجه الى المقر السري للحزب لنتداول في الامر ...

عمر ـ سنكون هناك في مأمن

(ينهض الجميع ، باستثناء سعيد)

سعيد ـ سالحق بكم عما قليل . لابد ان اكتب تعليقا على هذا الحدث الخطير .

عبد الغني ـ اشتدي ازمة تنفرجي !

سعيد ـ سيكون هذا عنوان مقالي !

جرجي ـ عسى ان يأتي انفراج الازمة الان ... والا تشتد اكثر من ذلك ! (يتبادلون نظرات قلقة مدركين ما تعنيه هذه العبارة)

عبد الغني ـ هيا بنا ... هل هناك مجال للتردد بعد ؟ ان الشعب يتطلع الينا في هذه الساعات بالذات .. فهل فينا من يخيب ظنه ؟

(يخرجون على عجل . يعود سعيد الى مكتبه بعد توديعهم ويجلس للكتابة . تمضي دقيقة ، ثم يطرق الباب . يضطرب سعيد وينهض على حذر ليسأل من الطارق . يفتح الباب)

سلمى (وهي داخلة) ـ من كنت تظنني ؟

سعيد (يأخذ يدها بحنان) ـ تعالي يا سلمى .. انني بحاجة اليك (يقودها الى مقعد عريض في احدى الزوايا ، ويجلسان)

سلمى (ملاحظة اضطرابه) ـ مابك يا عزيزي ؟

سعيد ـ لاشيء ، لاشيء ، يا سلمى

سلمى ـ بل ان هناك اشياء ، انت شديد الاضطراب .

سعيد (يحني رأسه بيأس) ـ لقد اصبحت حياتي شديدة القسوة يا سلمى ..

سلمى (ممسكة بذراعه) ـ اعرف انك تعاني كثيرا يا سعيد ، ولكني واثقة من قوتك وصمودك (تصمت لحظة) انك صاحب رسالة يا عزيزي !

سعيد ـ ولكن ... اليس اصحاب الرسالات من البشر يا سلمى ؟ احس احيانا باني انسان ضعيف جدا ..

سلمى (تنظر اليه وهي تبتسم ابتسامة ذات مغزى)انك على اي حال اقوى مني .. واذكى بلا ريب !

سعيد ـ لماذا تقولين ذلك ؟

سلمى ـ لانك سبقتني الى الشكوى ! كان في نيتي وانا اقصد اليوم مكتبك ان احدثك عما اعانيه من ضيق وتبرم ..

سعيد ـ انت على حق يا سلمى ..

سلمى ـ فاذا بك تشكو الي انت ما تعانيه ! اننا لا نكاد نراك في البيت .. تخرج في ساعة مبكرة ، وتعود في ساعة متأخرة ...

(صمت) والاولاد يا سعيد ؟

سعيد (منتفضا) ابتهل اليك يا سلمى .. لا تذكريني بهم .. انهم وحدهم القوة التي

تملك ان تثنيني عن طريقي .. ولكنني اذ افكر انني اناضل من اجلهم هم ايضا ، أتقبل هذه القسوة التي اعيش فيها ازاءهم ..

سلمى ـ انهم يسألونني عنك بلا انقطاع ..

سعيد ـ تلك القبلة التي اضعها على جباههم وهم نائمون ، هي زادي طوال النهار .. (صمت) كم أحن يا سلمى الى ان اوفر لكم حياة راحة واطمئنان ... ولكن ... (يصمت)

سلمى ـ ماذا يا سعيد ؟

سعيد ـ عرفت ياعزيزتي ... (يتردد)

سلمى ـ ماذا عرفت يا سعيد ؟ قل لي ، صارحني بربك !

سعيد ـ اجل ، من الافضل ان اصارحك يا سلمى . يجب ان تطلعي على كل شيء . أسمعي اذن (يتردد من جديد ، ثم يعزم) لقد اعتقل اليوم عدد من رفاقنا في الحزب اللامركزي ...

سلمى (مضطربة) ـ اتعني انه ربما ..

سعيد ـ من يدري يا سلمى ؟

سلمى (تتشبث به بحركة غريزية) لا .. يا سعيد .. ارجوك ..

سعيد ـ ماذا يا حبيبتي ؟ ما عسانا نفعل ؟

سلمى ـ ارجوك يا سعيد ، لا تعرض نفسك .. بل انني اكاد اقترح عليك ان .. (تتوقف)

سعيد ـ اتمي ... ماذا تقترحين ؟

سلمى ـ الا يمكننا ان .. نبتعد ؟ ان نختفي عن الانظار ؟

سعيد ـ لا ياسلمى .. لا .. لم اكن انتظر منك ان تقولي ذلك ..

سلمى ـ ولكنك تنسى .. الاولاد !

سعيد ـ لا .. لن اهرب يا سلمى .. ان الصحفي الحر لا يفر من المعركة !

سلمى ـ ولكني اخشى عليك يا سعيد ان..

سعيد (يقاطعها) ـ ان كل مواطن منا معرض للظلم والاضطهاد في هذا العهد الاسود . وما دمنا لا نستطيع ان نتجنب هذا الاضطهاد ، فلنواجه بشرف واباء !

سلمى ـ انت تبعث في الفخر والاعتزاز يا سعيد ، ولكن مع ذلك (يبدو عليها الحزن) اشعر بان الايام ستزداد قسوة علينا ..

سعيد ـ تعرفين يا سلمى مبلغ ما اعلق من قيمة على حبنا . غير اني لا استطيع ان افصل هذا الحب عن قضيتنا كلها .. انه يزداد روعة وعمقا بمقدار ما تحرز قضيتنا من انتصارات !

سلمى ـ ولكني ارى هذه القضية تزيد تعقدا يا سعيد ..

سعيد ـ وهذا يزيدنا اصرارا على مواصلة النضال .. اننا لا نعمل لانفسنا يا سلمى .. وكم سنكون سعداء اذا اتيح لنا ان نجنب اولادنا واحفادنا ما نكابده من ظلم وطغيان ..

سلمى (تقترب منه وتتناول كفه) ـ انني افهمك يا عزيزي .. وحبذا لو كان بامكاني ان اساعدك في شيء ..

سعيد ـ ان لم تكن حاجة البلاد اليك ملحة ، في هذه الفترة ، فليس كذلك البيت والاولاد . .

سلمى ـ أجل يا سعيد .. انني اوافقك على ان بيتنا ليس الا وطنا صغيرا لنا .

سعيد (يحيط كتفها بذراعه) ـ كم انا سعيد اذ اسمعك تقولين هذا يا سلمى ، يا رفيقة حياتي الغالية (يضمها اليه) والان هل تسمحين لي باتمام مقالي ؟

سلمى ـ وبعد ذلك ؟

سعيد ـ يجب ان اتوجه الى مقر الحزب (لحظة) ولكن انتظريني فاصحبك قبل ذلك الى المنزل .. وسيتاح لي بذلك ان ارى الاولاد قبل ان يناموا .

سلمى ـ اجل ، ساقرأ هنا بعض الصحف ريثما تفرغ من مقالك (تأخذ صحيفة)

سعيد ـ سلمى ..

سلمى ـ نعم يا سعيد ..

سعيد ـ انظري الي لحظة ، وابتسمي (تبتسم) اجل ، ابتسمي هكذا يا سلمى ، فسوف استمد من هذه البسمة زادا يعزز كفاحي من اجل تحرير وطني .

سلمى ـ وستكون هذه البسمة يا سعيد

في الاسواق العربية

رصيف العذراء السوداء (قصة) عبدالسلام العجيلي

جبل القدر (رواية) مطاع صفدي

جراح تغني (ديوان شعر) كمال ناصر

كاليغولا (مسرحية) البير كامو

الهاوية (مسرحية) صلاح كامل

متى يعود المطر (قصة) اديب نحوي

*

دراسات في الاشتراكية : ميشيل عفلق ، منيف الرزاز جمال اتاسي واخرين ...

في مجرى السياسية اللبنانية : اوضاع وتخطيط كمال جنبلاط

في سبيل البعث ميشيل عفلق

من مذكرات قومي متآمر شاكر مصطفى سليم

الحزب الشيوعي الفرنسي وقضية الجزائر الياس مرقص

نحن والشيوعية في الازمة الحاضرة سعدون حمادي

تطلب من دار الطليعة للطباعة والنشر

بيروت ص.ب. ١٨١٣

عهدا مني لك ان ابقى على حبك الى الابد !

(يبتسم سعيد بدوره ، ثم يتناول قلمه ويعود الى الكتابة . تغيب صورة سلمى وهي تبتسم ، وصورته وهو يكتب مع موسيقى خفيفة) (1)

الفصل الثاني

في احدى زنزانات السجن العرفي في عاليه غرفة ضيقة ليس فيها الا قطع من الحصير. شباك في الجدار الايمن . عبد الغني العريسي يقرأ في صحيفة يحاول ان يخفيها كلما سمع حركة او وقع اقدام في الخارج. جرجي الحداد قابع في احدى الزوايا يفكر. عمر حمد واقف ازاء الشباك كأنما ينتظر احدا . خيال الحارس نجيب يظهر بين فترة واخرى وهو يمر امام الشباك .

عمر (يشير لنجيب ان يقترب من الشباك) ـ هل يسمح للمعتقل .. ان يتبادل مع الحارس .. التحية على الاقل ؟

نجيب (يلتفت يمينا وشمالا كأنما ليتأكد ان ليس هناك من يراقبه) كلا .. ولكني انا اسمح لك !

عمر (دهشا وعلى حذر ، في الوقت نفسه) ـ ولماذا ؟

نجيب ـ لانني .. (هامسا) اعرف من انتم !

عمر ـ كيف ... ومن نحن ؟

نجيب ـ انني اؤيد حركتكم (يسير الى امام)

عمر (يشير الى عبد الغني وجرجي) ان الحارس .. ليس عدوا لنا ..

عبد الغني ـ وماذا تعني ؟ هل نستطيع ان .. نثق به ؟

عمر ـ لا ادري .. ولكني حين نظرت في عينيه شعرت بالاطمئنان

جرجي ـ الا تراه يخدعك ليأخذ بعض الاسرار ؟

(يعود نجيب الى الشباك)

نجيب (هامسا) ـ في غفلة من حارس الزنزانة المجاورة ، كلفني الامير عارف الشهابي ان ابلغكم تحيته ..

عبد الغني ـ الامير عارف هنا ؟

نجيب ـ نعم ، ومعه اربعة اخرون (يلتفت حذرا) وفي زنزانة اخرى ، يوجد خمسة معتقلين ايضا ..

عبد الغني ـ قل للامير عارف ان عبد الغني العريسي يسلم عليك .

نجيب ـ سأحاول ذلك ... اذا غفل عني ذلك الحارس اللعين ! انه اتحادي لئيم ! (يشير لهم فجأة ان يرتدوا عن الشباك) اسمع وقع اقدام مدير السجن . حذار !

(يرتدون متراجعين الى داخل الزنزانة)

عمر ـ يبدو اننا وفقنا الى هذا الحارس !

جرجي ـ اتعني ان بوسعه ان يهيء لنا .. الفرار ؟

عمر ـ من يدري ؟ (يلتفت الى عبد الغني) مارأيك ياعبد ؟

عبد الغني ـ اذا كان بوسعه ان يفعل شيئا ، فليسرع !

جرجي ـ لماذا ؟ هل تتوقع شيئا ؟

عبد الغني ـ اعتقد ان الامور تسوء وتنذر بالشر .. .

عمر ـ تذكرون اننا كنا نبحث عن وسيلة ننقذ بها رفاقنا (يشير الى الزنزانة المجاورة) فاذا بالسفاح يغدر بنا .

جرجي ـ ان احدا لاينسى كيف غدر بصديقه عبد الكريم الخليل !

عمر ـ منذ ذلك التاريخ كان ينبغي علينا ان نتبع خطة اخرى . .

جرجي ـ ولكننا كنا نعتقد ان الباب العالي سيفي ببعض وعوده على الاقل .

عبد الغني ـ يجب ان نعترف بان تفكيرنا لم يكن يخلو من السذاجة .. كنا نرى جمال باشا ينقل جميع الوحدات العسكرية العربية الى ميادين القتال لانه لم يعد يأمن جانبها ، ويملأ السجون بالمعتقلين ..

جرجي ـ الواقع انه كان يأمل ان يجعل من سوريا ولبنان امارة له بعد ان تنجح حملته في مصر ...

عمر ـ ولكن بعد ان فشلت هذه الحملة حصر اهتمامه بقيادة جبهة عاليه ، والديوان العرفي !

(يضحكون ضحكة قصيرة)

(يطل وجه الحارس نجيب من خلف الشباك ويشير الى عمر ان يقترب)

نجيب (هامسا) ـ سأحاول ان .. انقذكم! انني لم اعد اطيق هذه المهنة ، حراسة الاحرار المرشحين .. للاعدام !

عمر ـ ماذا تقول ؟ هل انت متأكد من اننا سوف ..

نجيب ـ حين جاءوا بكم ، قال لي مدير السجن : انتبه جيدا ، ان هؤلاء اخطر العناصر التي عرفها السجن (يقترب عبد الغني وجرجي من الشباك مرة اخرى) اجل سأحاول ان انقذكم .. وافر معكم .. انني افضل الانضمام الى حركتكم .. انني انا ايضا عربي ! (يغادر الشباك ويسير في الممشى للحراسة ثم يعود) استعدوا لاشارة حاسمة مني !

عمر ـ عافاك الله ! ان العربي الاصيل لايمكن ان يخون اخاه !

نجيب ـ ولكن هذا الحارس اللعين (يشير الى الزنزانة المجاورة) هو الذي يخيفني .. على اي حال سانتظر الفرصة المناسبة ،وارجو ان تكون قريبة (يشير لهم فجاة ان يرتدوا الى خلف) أسمع وقع اقدام ... (يختفي وراء الشباك)

(يقترب وقع الاقدام يسمع صوت صرير سلاسل خلف الباب . لحظات يرهفون فيها اسماعهم ، يفتح الباب . يدفع الى الداخل جسم رجل ويغلق الباب على التو)

عمر وعبد الغني (يصيحون معا مذعورين) سعيد !

سعيد (ببسمة حزينة) تحية ايها الابطال !

عبد الغني ـ ولكن .. كيف قبضوا عليك ياسعيد ؟

(يعانق كلا منهم)

سعيد ـ كتبت بالامس مقالا عنكم بعنوان « الابطال » !

عمر ـ ولكن .. لماذا يا سعيد ؟ كنا نفضل ان يبقى منا واحد خارج هذه الجدران !

سعيد ـ ولماذا ياعمر ؟ سنكون معا في كل مكان (صمت) ثم انهم حسنا فعلوا: ماعساي افعل بعد ان عطلوا الصحيفة ؟

عبد الغني ـ وماذا لديك من اخبار ؟

سعيد ـ ان هناك تطورات هامة : لقد نجا الامير فيصل من شرك كان السفاح ينصبه له ، فغادر دمشق الى مكة .

عمر ـ هذه بشرى عظيمة . .يجب ان نتوقع شيئا خطيرا بعدها . .

سعيد ـ ولقد ارسل الامير فيصل يهدد جمال باشا بانه لن يستطيع ان يكبح جماح الشعب مادامت الاعتقالات مستمرة والاضطهاد قائما ..

عبد الغني ـ لاشك في ان رسولنا قد وصل اليه .

سعيد ـ لقد بلغتنا الانباء بان البلاد العربية كلها في غليان .

عمر ـ اجل ! آن لها ان تنفجر !

سعيد ـ وعلمنا امس ان بعض الشباب المناضلين قد التجأوا الى الجبال باسلحتهم، وبدأوا تنظيم انفسهم في انتظار الاشارة من القيادة العربية .

عمر ـ لن يكون اعتقالنا بلا جدوى ، ايها الاخوان .

عبد الغني ـ واولئك الذين استشهدوا .. لن تذهب تضحيتهم سدى .

جرجي ـ لكن كيف قبضوا عليك ياسعيد ؟ لقد سرنا انك لم تكن معنا في المقر السري للحزب حين داهمونا ... .

سعيد ـ اقتحموا بيتي بعد صدور الجريدة صباح اليوم .. (لحظة صمت) لم يسمحوا لي حتى ان اقبل اولادي (يبدو عليه التأثر)

عمر ـ وزوجتك ؟

سعيد ـ لم اكن اتصور ان تملك مثل هذه الشجاعة ورباطة الجأش ، في اول الامر على الاقل (يصمت) لقد سألتهم : جئتم تأخذونه

(1) كتبت هذه المسرحية في الاصل برسم التلفزيون اللبناني .

اليس كذلك ؟ خذوه .. ولكنكم لن تقتلوا الروح التي بثها قلمه في نفوس الشعب (يبدو عليه التأثر من جديد) غير انها حين التفتت الي ونظرت في عيني انفجرت في البكاء ، فانتزعني الوحوش من بين ذراعيها انتزاعا .. (يعض على شفته السفلى حتى لايبكي) دعونا من ذلك الان .. هل بلغكم ان بعض رفاقنا المعتقلين قد نقلوا اليوم الى دمشق ؟

عبد الغني ـ كلا ..

عمر ـ ومن هم ؟

سعيد ـ الزهراوي والمؤيد وسلوم والانكليزي وسواهم ..

عبد الغني (يخفض رأسه) ـ اني اتوجس شرا ايها الاخوان ..

عمر ـ (بعد فترة) ـ سأتحدث الى نجيب (ينهض الى الشباك ويومىء بيده ، يقترب الحارس) ـ هل بلغك شيء عنا ؟

الحارس (يتردد) ـ انهم على اي حال .. لايضمرون لكم الخير ..

عمر ـ وما الذي تنوي ان تفعله انت ؟

الحارس ـ مازلت انتظر الفرصة المناسبة .. ولكن هذا الحارس اللعين . يخيل الي انه بدأ يفهم قصدي .. على اي حال ، كونوا دائما على استعداد ! (يبتعد)

جرجي ـ لا احسب ان تهديد الامير فيصل سيلقى اذنا صاغية لدى السفاح !

عمر ـ بل لعل سفره الى الحجاز سيثير الطاغية ، فيبحث عن وسيلة للانتقام .

عبد الغني ـ مهما يكن من امر ، فلا بد ان يحاكمونا .. وهذا سيقتضي بضعة ايام على الاقل !

جرجي ـ اليس من المعقول الا يحاكمونا ، كما فعلوا برفاقنا منذ تسعة اشهر ؟

عبد الغني ـ انكم تذكرون الهياج العام الذي عصف بالبلاد بعد اعدامهم بلا محاكمة !

سعيد ـ حتى لقد اضطر السفاح الى اعلان محاكمة صورية بعد تنفيذ الاحكام ..

عبد الغني ـ لا اعتقد انهم سيفعلون ذلك مرة اخرى ..

جرجي ـ اذن ، يبقى لنا امل بالانقاذ حتى يحين موعد المحاكمة .

عمر ـ ان هذا الامل منوط الان بصديقنا نجيب !

(يطل الحارس نجيب مرة اخرى من خلف الشباك)

نجيب (بصوت مرتفع) ـ سعيد عقل .. ان زوجتك تطلب رؤيتك . .مسموح لها بخمس دقائق فقط !

(تطل سلمى من وراء الشباك)

سعيد (بلهفة) ـ سلمى .. حبيبتي .. كيف سمحوا لك ؟

سلمى ـ لاقيت الامرين حتى حصلت على الاذن .

سعيد ـ بربك طمئني .. هل اذوك .. او اهانوك ؟

سعيد ـ ليطمئن بالك ياسلمى .مادام هؤلاء الرفاق معي (يشير وراءه) فسأكون دائما في خير ..

سلمى ـ قل لي ياسعيد : ماالذي استطيع ان افعله من اجلكم ؟

سعيد ـ لا يا سلمى .. لاتهتمي بنا .. بل وجهي عنايتك كلها للاولاد .. (يصمت لحظة) كيف حالهم جميعا ؟

سلمى ـ كلهم بخير .. ولكن انت ..

عمر (مقتربا من الشباك) ـ اسمح لي ياسعيد ان اقول لها كلمة (يتوجه اليها)جدي وسيلة للتحدث الى الحارس نجيب ، انه من انصارنا . حاولي ان تدبري معه الخطة (ينسحب الى داخل الزنزانة حيث تجمع رفاقه في زاوية)

سلمى ـ هذا امر هين .. ولكن قل لي ياسعيد (تنهار فجأة باكية)

سعيد (مادا يده عبر الشباك ملامسا كتفها) لا يا سلمى .. انني بحاجة الى ان تشجعيني لا ان تثبطيني (يغمض عينيه)

سلمى (تتناول كفه وتقبل باطنها)ـ انت على حق يا حبيبي ، اغفر لي ضعفي ، سأحاول ان ارتفع الى مستوى الاحداث التي تواجهها يا سعيد (تكفكف دمعها بمنديل)

سعيد ـ كنت رائعة حين قدموا لاعتقالي .

سلمى ـ سأحاول ان ازورك كل يوم (تلتفت خلفها بحزم) والان .. اود ان اتحدث الى الحارس (تهم بالانصراف ـ يمسكها سعيد عبر الشباك من ذراعها)

سعيد ـ لكن قبل ان تنصرفي .. هل نسيت العهد الذي بيننا ؟

(تبتسم سلمى وهي ترنو اليه ، ولكنها تشعر بان الدمع يطفر الى عينيها ، فتنفتل عنه ، وتلتقي بنجيب ويأخذان في حديث هامس)

عبد الغني (متأثرا) ـ لن يكون القدر من القسوة بحيث يفرق بينكما ياسعيد ..

سعيد ـ ان لدي الان شعورا داخليا ايها الاخوان ..

عمر ـ اي شعور ياسعيد ؟

سعيد ـ لن ارى بسمة سلمى مرة اخرى (ينهار) ولن ارى بعد اولادي .

عبد الغني ـ لا .. لا .. انك متشائم ياسعيد ..

جرجي ـ انك تبالغ ياعزيزي

(يصمت الجميع ، وتغشى وجوههم غمامة من كآبة)

عمر ـ ان مايقتلني الان شعوري بانني اعجز انسان في الدنيا .. .اعجز من ان افتح هذا الباب مثلا ...

عبد الغني ـ وانا ياعمر ، يمزقني انني لاستطيع الا ان انتظر بلا امل ان يهبط الليل ، ثم ان يطلع الصباح .. وان يهبط الليل مرة اخرى .. اي فراغ هذا الذي قذفونا فيه !

جرجي ـ لو كان هذا الليل ليل الظلم ينقضي ليشرق فجر الحرية لانتظرناه وشيعناه بكل رضى ، حتى ولو كنا واثقين من اننا سنكون جثثا عند الصباح !

سعيد ـ ماأشد مااحتاج الان الى قلمي ايها الرفاق .. لقد نزعوه مني وحطموه .. كم اود ..

(يطل نجيب وراء الشباك وفي عينيه العزم والقوة)

نجيب (هامسا) ـ لقد ذهبت السيدة سلمى .. وقد اتفقت معها على .. هذه الليلة (يلتفت الى يساره) ان هذا الحارس اللعين (يبدو الذعر في نظراته) يخيل الي انه قد ادرك كل شيء ...

(يغيب وراء الشباك ، بعد لحظات تسمع ضجة وصخب وتنازع وصراخ ، ثم تنبعث عبارة « الحارس نجيب ، الخائن ، هرب نجيب ، كان يتأمر لاخراج المعتقلين ، لقد هرب اقبضوا عليه » ـ المعتقلون الاربعة يتجمعون عند الشباك مذعورين ، ثم تهدأ الضجة تدريجيا . بعد قليل ، يبرز وراء الشباك وجه حارس اخر ينبعث من عيونه الشرر . يتراجع المعتقلون الى الداخل . يظل وجه الحارس المرعب فترة وراء الشباك ، ثم يغيب. يسقط الليل رويدا رويدا حتى يعم الظلام الزنزانة)

صوت عبد الغني(منبعثا من الظلام) ـ ترى هل نشهد طلوع فجر جديد ؟

(دق طبول صاخبة يغيب المشهد بخفوتها تدريجيا) .

*

الفصل الثالث

مغارة في جبل . عند باب المغارة يجلس نجيب فوق صخرة ، بلباسه العسكري ، مطرقا الى الارض . تصل سلمى بعد قليل تحمل في صرة كبيرة طعاما ومؤونة ، ينهض نجيب لدى وصولها ، يتناول منها الصرة ويدخل الى المغارة ، تجلس على صخرة قريبة ، يعود نجيب من المغارة فيجلس حيث كان ، لحظة صمت .

نجيب ـ يبدو ان الاهلين كانوا اليوم اكثر كرما من الامس ..

سلمى ـ ثق ان كثيرين منهم يؤثرون المناضلين على انفسهم واولادهم ..

نجيب ـ ولكن يجب ان نعترف انك لو لم تكوني زوجة ... الشهيد ... (لايتم)

سلمى ـ صحيح .. حين يعرف احدهم

ذلك ، تراه يبذل كل مايستطيع (تصمت) زرت اليوم بيتا لم اجد فيه الا شيخا مسنا محني الظهر . وحين عرفني ، وعرف مهمتي ، اعطاني هذه الصرة الصغيرة التي كان يربطها في صدره وقال لي : هذا كل ماامتلك ، ادخرته للايام السود . ولا اعتقد انه سيأتي يوم اشد سوادا من هذا الذي يعدم فيه شاب قوي مناضل كسعيد عقل ، ويبقى على قيد الحياة شيخ متهدم مثلي لا جدوى منه .. (تحول نظرها الى المغارة) أليس فيها احد ؟

نجيب ـ لم يعد احد بعد (يصمت ، ثم يبدو متململا على مقعده) كأنني هنا ماازال في السجن .. .اني اريد ان اقوم بشيء اخر غير الحراسة !

سلمى ـ لاتتعجل الامور ، لاشك في انهم سيشركونك في العمل حين يقررون البدء به .

نجيب ـ كنت اتمنى لو بقيت في السجن ، ولم اهرب ، كانوا سيعدمونني دون ريب ، ولكن ... هل انا خير منهم ؟ هل انا خير من عبد الغني وعمر وجرجي ؟. هل انا خير من ... سعيد

(يخفي وجهه بيديه ويجهش بالبكاء)

سلمى (تنهض بهدوء وتضع يدها على كتفه) لقد قاموا بواجبهم يانجيب (تترقرق الدموع في عينيها) وما زال امامنا ان نقوم نحن بواجبنا ..

نجيب ـ لم اكن اتوقع قط ان يسوقوهم في تلك الليلة بالذات الى بيروت ، لو كنت عرفت ذلك ، لحاولت اخراجهم مهما كلف الامر ... ولكن ذلك الحارس المجرم ..

سلمى ـ لا تتحسر يا نجيب على ما كان بوسعنا ان نعمله ، لننظر ماذا نستطيع ان نعمل الان .. .

نجيب ـ كيف حال الاولاد ؟

سلمى ـ ألف الاكبر فرقة من صبية الحي وهو يقول انه يريد ان يهاجم بها الخفر (تبتسم)

نجيب ـ انها الروح التي تشيع في كل مكان .. ان جميع الرجال يتنادون لتأليف الفرق الفدائية وتنظيم المقاومة .. وكل يوم ينضم الى فرقتنا شبان اخرون (فترة) هل قابلت في المدينة احدا اليوم ؟

سلمى ـ في الصباح ، زارتني امه مرة اخرى (تتمالك نفسها حتى لاتبكي) ان صورته تكاد تبلى بين كفيها من اللمس والدموع ..

نجيب ـ ياللعجوز المسكينة !

سلمى ـ وبينما كنت احاول ان اهدئها جاء الطبيب الذي حضر المشهد ..

نجيب (بلهفة) ـ ماذا روى لكم ؟

سلمى ـ قال ان سعيد التفت الى الواقفين حوله ، وهو على منصة المشنقة ، وقال :

« اسأل ربي ان يكون دمي الذي يراق الان حتى اخر نقطة سببا في المستقبل لحرية بلادي وشرفا لعائلتي واولادي ! (يتهدج صوتها)

نجيب (مهتز الجسم) ـ وبعد ذلك ؟

سلمى ـ روى الطبيب ان سعيد التفت اليه قائلا : « رجائي اليك وانت من اهل بلادي ان تهوي بكل قوتك علي ، لان خفة جسمي تمنع انقطاع حبل حياتي بسرعة ! » (فترة) وقال الطبيب : انه وقف مرات عديدة امام المشانق ، ولكن هذه كانت المرة الاولى التي بكى فيها !

نجيب ـ هل يتاح لنا ان نموت ميتة هؤلاء الابطال ؟ (يصمت) لقد روى لي طاهي السجن انهم حين ابلغوا قرار الاعدام ، انطلقوا جميعا ينشدون نشيد عمر حمد :

نحن ابناء العلى شادوا مجدا وعلا

وظلوا يرددون هذا النشيد حتى بلغوا ساحة البرج في بيروت . وقد رفس جرجي حداد وباترو باولي الكرسي تحت اقدامهما وهما يبتسمان ..

سلمى ـ وباقي الرفاق ؟

نجيب ـ طلب عبد الغني العريسي ان يعدم مع الامير عارف الشهابي قائلا « اني قضيت معه الحياة ، ولست احب ان افترق عنه في الممات ! » ثم التفت الى رجال البوليس وقال لهم : « بلغوا السفاح ان الملتقى قريب ، وان جماجمنا ستكون اساسا لاستقلال بلادنا »

سلمى ـ وعمر حمد ، هل رووا عنه شيئا ؟

نجيب ـ قال عمر وهو على المنصة «انني أموت فداء العرب ، خسئت ياهلال ، وشلت يمينك ايها السفاح ! (فترة) وهل بلغك ماقاله توفيق البساط حين ساقوه الى ساحة الاعدام ، فرأى على اعواد المشانق احد عشر من رفاقه ؟

سلمى ـ اي مشهد رهيب هذا !

نجيب ـ لقد صاح توفيق : « مرحبا بارجوحة الشرف ! مرحبا بارجوحة الابطال ! مرحبا بالعمد التي تستند اليها الشعوب في استقلالها ! مرحبا بالموت في سبيل حرية الوطن ! »

سلمى (بعد لحظة صمت) ـ هل تساءلت يانجيب ساعة كيف تولد البطولة في صدور الرجال ؟

نجيب ـ ان البطولة ياسيدتي شعلة يلقيها الاله في صدور من يرفعون الانسانية الى ذروة انتصاراتها الرائعة .. انها سلك يكهرب النفوس ويفولذ الارواح (فترة) هل يقدر لنا ان تنفذ يوما الى صدورنا اشعة من هذه الشعلة المقدسة ؟

سلمى ـ ان البطولة لم تكن لتعوز روحك يانجيب حين عزمت على انقاذ الابطال .

نجيب ـ ولكن يدي ماتزال مشلولة (تثور أعصابه) انها تريد ان تعمل (يكور قبضته) ان تنتقم للاحرار ، ان تثأر لجميع اولئك الذين حرستهم فسيقوا الى المشانق ...

(يسمع فجأة طلق ناري ، تظل قبضة نجيب مرتفعة الى السماء ، وتكسو وجهه علامات لهفة وابتهاج ، تسمع طلقات نارية كثيرة .)

سلمى ـ ماهذا يانجيب ؟

نجيب (بصرخة) ـ انها رصاصة الثورة ياسلمى ! انها رصاصة الشريف حسين اطلقها في مكة ، وتتجاوب بها الان سماوات العرب جميعا .. لقد اعلنت الثورة ياسلمى !. (يمسكها من كتفيها ويهزها) اتعلمين معنى الثورة ؟ سننتقم ياسلمى ! سيبدأ العرب زحفهم ! (يدخل مسرعا الى المغارة ثم يخرج وبيده بندقيته مرفوعة الى السماء) لقد اطلق سراح ايدينا ياسلمى . .سنهدم الظلم والظالمين ، سنحرر الوطن من رجس الاستعمار التركي ، وداعا ياسلمى (يمد يده فيصافحها) بل الى اللقاء في وقت قريب .. يوم تزحف فرقتنا لتحرر هذه الارض من السفاح ومن الطغيان العثماني .. الى اللقاء ياسلمى .. الى اللقاء يارفيقة سعيد ! قبلي الاولاد عني ، وتحيتي الى قائد الفرقة الصغير !

(ينحدر هابطا التلة وهو يطلق نار بندقيته حتى يختفي ـ تبقى سلمى واقفة عند رأس المنحدر ، وهي تنظر الى الافق البعيد ،والريح تطاير شعرها . تمر امام عينيها صور مختلفة تبدو على الشاشة : صورة سعيد ورفاقه وهم ينشدون نشيد عمر حمد « نحن ابناء العلى » متكاتفين ـ صورة مشانق منصوبة ـ هتافات بحياة الوطن وحياة العرب ـ صورة سعيد وهو يكتب ـ صورته وهو يدعوها الى الابتسام ـ تبتسم سلمى والدموع في عينيها ترتعش شفتاها كأنما تبكي ، تبتعد صورتها تدريجيا وهي ماتزال تبتسم ولكن الدموع تنحدر من عينيها ، يغيب المشهد على هذه الصورة ، يسمع صوت بعيد ، مضخم ، كأنه صوت نجيب ، يملأ الفضاء :)

صوت نجيب ـ اجل ماتوا .. ولكنهم ماتوا ليحيا الوطن ، ولتحيا العروبة .

(موسيقى تصويرية تتراوح بين الصخب والرقة) (*)

سهيل ادريس

(*) حقوق النقل والتمثيل في الاذاعة والتلفزيون محفوظة .